الدرس السادس: تحقيق المخطوطات: المفهوم والنشأة والتطور

لا يزال الحديث عن تحقيق المخطوط له مكانته في الأوساط الأكاديمية والعلمية، ولقد عني العلماء المحققين بهذه المخطوطات وتحدوا كل الصعوبات، وما يتطلبه من ملاحقة نسخ المخطوط من جهد، وما ينبغي على المحقق أن يبذله من الوقت والمال قبل أن يخرج المخطوط بصورة عمل علمي يمكن الاستفادة منه.

ومن بين المحققين العرب الذين اجتهدوا في هذا الجانب عبد السلام هارون، وصلاح الدين المنجد، ومحمد محمود شاكر... فضلاً عما تقدمه الجهات المختصة مثل مجمع المخطوطات العربية التابع للجامعة العربية الموجود مقره في القاهرة وايضا مجمع جمعة الماجد بدبي ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية.

كما كان للمستشرقين اليد الطولى في تحقيق المخطوطات ونشر النصوص القديمة في مختلف مجالات العلوم والميادين والذين كان من بينه بيرجيستراسر (**Gotthelf Bergstraesser**).

فماذا نعني بتحقيق المخطوط؟ وكيف نشأ هذا العلم؟ وما هي مبادئه وقواعده؟

ضبط المصطلحات:

- **تحقيق المخطوط :** هو إثبات صحته من حيث عنوانه واسم مؤلفه ومتنه.
- **النّص :** هو الكلمات التي يتألف منها المخطوط.
- **المتن :** هو الجزء الرئيسي من المؤلف (المخطوط) مُستقلاً عن شروحه و حواشيه
- **الحواشي :** هي الكلمات الخارجة عن نص الكتاب (المخطوط) و ليست منه ، الموضوعة في هوامش الكتاب و تتضمن تعليقات و شروحات على النص.
- **الشروح :** هي الكلمات الشارحة للنص المخطوط و ليست منه و قد توضع في هوامش الكتاب أو في كتاب مُستقل و أحياناً قد يكتبها المؤلف نفسه و أحياناً يكتبها غيره.
- **الضبط :** ضَبَطَ الكتاب : أصلح خللهُ أو صححه و شكله.
- **السند :** هو سلسلة الرجال الذين قُرئ عليهم المخطوط إلى المؤّلف اهميته تكمن في توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه و في توثيق اسم الكتاب و بيان قيمة النسخة الخطّية إذا قرئت أو انتُسخت من الأئمة الحفاظ الضابطين و يُكتب عادة في أول الكتاب.

msadiaabdorazak@gmail.com

1- تعريف علم تحقيق المخطوطات:

لغة: التحقيق هو اثبات القضية بالدليل وفي لسان العرب (حقق) وحققت الامر، واحققته: كنت على يقين منه. وهو ايضا التصديق، واثبات الحق واحكام الشيء. وان كان العرب لم يستعملوا هذه الكلمة بالذات للدلالة عليه، بل استعملوا بدلا منها كلمة " التحرير"، فقالوا: ان تحرير الكتاب خلوصه وتقويمه؛ وحق الامر: صار حقا وثبت، وأحققت الأمر احقاقا: أحكمته وصححته.

اصطلاحا: يعرفه عبد الله عسيلان بأنه " إخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوانه ، واسم مؤلفه ، ونسبته إليه، وتحريره من التصحيف والتحريف، والخطأ ، والنقص والزيادة " .

ويرى البعض ان التحقيق العلمي للمخطوط يعني أن يظهر هذا المخطوط كما وضعه مؤلفه قدر الامكان، اذ ليس من واجب المحقق أن يحسن من اسلوب المؤلف، ولا ان يحل كلمة بدل أخرى، بدعوى انها أصح منها، او أوفق في مكانها، ولا أن يصحح خطأ نحويا ارتكبه المؤلف، ولا يشرح فيما رغب المؤلف اصلا في ايجازه.

<u>تحقيق النص معناه</u>: جعله على الوجه الذي أراده عليه مؤلفه، أو على وجه يقرب من أصله الذي كتبه به هذا المؤلف.

ما هو الكتاب المحقق ؟ الكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه ، وكان متنه أقرب ما يكون إلي الصورة التي كتبها مؤلفه ... وعلى ذلك فإن الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول البحث في الزوايا التالية:

- تحقيق عنوان الكتاب.
- تحقيق اسم المؤلف.
- تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.
- تحقيق متن الكتاب حتى يكون مقاربا لنص مؤلفه.

2- نشأة علم تحقيق المخطوطات

2-1- بدايته مع علماء الحديث : كان لعلماء الحديث الفضل الاول في وضع قواعد تحقيق النصوص، عن طريق تحقيق الرواية وتحري الدقة في اثبات الاحاديث الصحيحة من عداها، معتمدين على وسائل دقيقة، وتعدى ذلك الى وضع معايير ورتب للمحدثين والاحاديث – اي ما يعرف بعلم الجرح والتعديل .

msadiaabdorazak@gmail.com

لذا فقد اوجدوا قواعد لطرق اخذ العلم وتحمله وهي: السماع والاجازة والقراءة والمناولة والمكاتبة والاعلام والوصية والوجادة(*)

2- 2 الجذور الأولى للتحقيق عند المسلمين:

2-2-1- معارضة القرآن الكريم

2-2-1-1 معارضة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن مع جبريل عليه السلام:

جاء في صحيح البخاري : (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن) وفي رواية أخرى للبخاري (**فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه).**

2-2-1-2. معارضة زيد بن ثابت ما كان يكتبه من الوحي على رسول الله ﷺ :

قد روي عن زيد بن ثابت أنه قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يملي عليّ فإذا فرغت قال : **اقرأه** ، فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه.

2-2-1-3. جمع وتدوين القرآن الكريم : تمت عملية جمع وتدوين القرآن الكريم عبر عدة مراحل، والتي يمكن ان نستعرضها كالآتي:

. جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ﷺ :

قال أبو بكر الصديق لزيد بن ثابت ﷺ:**(إنك رجل شاب عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه)** ، وقد استعان زيد ﷺ بغيره من أهل العلم والفصاحة ويدل على هذا قول عمر بن الخطاب ﷺ :**(لا يملينّ في مصاحفنا إلا علماء قريش وثقيف)** ، ومع هذا كله كانوا يستظهرون على المكتوب بما هو محفوظ في صدور الرجال.

. تدوين القرآن في عهد عثمان ﷺ وتوزيعه في الأمصار : يمكن أن نوجز المراحل التي مرّ بها تدوين القرآن وتوزيعه في الأمصار في النقاط التالية :

(*)السماع: ويعبر عنه متلقي العلم عادة، بإحدى الطرق التالية: أملى علي فلان، وسمعت فلانا، او سمعت من فلان، وحدثني فلان، او حدثنا فلان، واخبرني او اخبرنا فلان، وقال لي فلان، وفي الشعر يقال: انشدني او أنشدنا فلان. **الاجازة**: وهي ان يعطي الشيخ اجازة لآخر ، بان يروي نصا محددا، او ان يعطيه اجازة او تصريحا برواية كتب غير محددة كأن يقول له: اجزتك رواية كل ما ارويه. **القراءة**: وذلك بان يقرأ المتلقي على شيخه (استاذه) من كتاب او يلقي من ذاكرته على الشيخ ويقول التلميذ عندها: قرأت على فلان. **المناولة**: وهي ان يعطي الشيخ تلميذه أصل كتابه او نسخة منه، ويجيز له روايته، ويقول المتلقي بهذا الطريق: حدثني فلان مناولة. **المكاتبة**: وهي ان يُعد الشيخ لتلميذه كتابا من تأليفه او مروياته ويرسله اليه، ويقول التلميذ عندها: كتب الي فلان، او بعث الي. **الوجادة**: وتعني النقل عن احد الكتب، فيقول الراوي عند ذلك: وجدت في كتاب فلان.

msadiaabderazak@gmail.com

- طلب عثمان (النسخة الأم) من أم المؤمنين حفصة ﷺ أي النسخة التي جمعت في عهد أبي الصديق ﷺ .

- (تكوين لجنة) و قال لهم ﷺ : **إذا اختلفتم مع زيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم.**

- خطب ﷺ في الناس يطلب منهم مساهمتهم في العملية فجعلوا يأتونه من أكتاف وعسب وغيرها، وحين تمت عملية جمع القرآن الكريم ، أمر بكتابة أربع نسخ وإرسالها في الأمصار، وأمر بإتلاف ما سوى هذه النسخ .

2-2-2- قواعد الدراسة و التحقيق عند العلماء والمحدّثين :

2-2-2-1 مناهج وأساليب دراسة النصوص :

إن أول أمر يبدأ به المحقق ويعني نفسه به هو مسألة صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه ، وهذا ما أكد عليه علماء الحديث ، فإذا نسب الوضّاعون كلاما للنبي ﷺ زاعمين انه حديث انبرى له جهابذة المحدثين وأبطلوا نسبته المزعومة من خلال دراسته دراسات مختلفة ، ومن أمثلة ذلك :

- ✓ **الدراسة التاريخية :** قد أظهر بعض اليهود كتابا بإسقاط النبي ﷺ الجزية على أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة فعرض هذا على أبي بكر الخطيب البغدادي فقال: هذا مزور، فقيل له من أين قلت هذا ؟ قال فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح بعد خيبر . وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات قبل خيبر بسنتين. زد على هذا حقائق التاريخ كلها تنفي صحة نسبة هذا الكتاب، لأن الجزية لم تكن معروفة ولا مشروعة في عام خيبر وأما نزلت آية الجزية في سورة التوبة ، بعد عام تبوك.
- ✓ **الدراسة المنطقية :** ما طعن به أبو هريرة رضي الله عنه إذ قالوا عنه : أنه لحرصه على الأكل ورغبته في الطيبات منه ، كان يأكل عند معاوية ويصلّي عند علي ﷺ ، (مع العلم أن علي بن أبي طالب كان إما بالمدينة وإما بالكوفة ومعاوية كان بالشام ، رضي الله عنهم).
- ✓ **دراسة اللغة والأسلوب :** لتمرس علماء الحديث بأساليب وتعابير كلام النبي صلى الله عليه وسلم حصلت لهم هيئة نفسية ، وملكة قوية يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظ النبي ﷺ ومالا يجوز. مثل ما روي عن أنس : الديك الأبيض الأقرن حبيبي وحبيب حبيب جبريل ، يحرس بيته ، وستة عشر بيتا من جيرته ، أربعة عن اليمين ، وأربعة عن الشمال ، وأربعة من قدام وأربعة من خلف. فمثل هذه الأحاديث المزعومة ذات سخف في المعنى وركاكة في اللفظ كيف تنسب إلى خير خلق الله ﷺ.

msadiaahboraak@gmail.com

3-2 عصر الإحياء في اوروبا : وكان مع بداية القرن 15 حين اهتم الاوربيون بالتراث اليوناني واللاتيني وقاموا بتحقيقه على اساس مقابلة النسخ المختلفة، رغم انه لم يكن تحقيقا بالمعنى المعروف حاليا لكنه كان كبداية لوضع بعض الاسس والقواعد لهذا العلم حيث كانوا يأخذونا نسخة اصلا للتحقيق ثم يقابلوها بغيرها من النسخ ويضعون المتشابه في المتن وما يخالف باقي النسخ في الهامش.

4-2 التحقيق عند المستشرقين: وجه المستشرقون عنايتهم لنشر نفائس الكتب وذلك منذ بداية القرن 19م. حيث قام منهجهم العام في التحقيق على: "جمع المصادر المتعلقة بالكتاب وبمؤلفه وبمادته، وبما كتب حول كل ذلك بشتى اللغات، وترتيب كل ذلك ترتيبا زمنيا، ومقابلة النصوص بعضها بالبعض الآخر، لفصل المصادر عن المراجع، وتمييز الناقل من المنقول ... ثم دراسة شخصيات المؤلفين والشارحين والمختصرين والمهذبين والرواة والنساخ والنقاد، كل في بيئته وزمنه وثقافته ونزعته، وان يعنى المحقق بوضع مقدمة الكتاب وفهارسه التفصيلية، وان يوثق النص في الهوامش توثيقا دقيقا معتمدا على نهج واحد في عمله".

وهذا المنهج - في نقاطه المتعددة- طبقته جمعية المستشرقين الالمان (DMG) في نشرياتها الاسلامية (Bibliotheca Islamic) التي يشرف عليها المستشرق هيلموت ريتر (HALMOT Raiter) ثم جمعية غيوم بودة الفرنسية (Assoclation Guillanme Bude) في فرنسا وتبعها من قبل جميع المستشرقين.

5-2 التحقيق عند العرب في العصر الحديث: اهتم العرب في ربع القرن الماضي (القرن 20) بنشر تراثهم القديم وتحقيقه وكان على ناشري النصوص من العرب اتباع الطريقة العلمية التي يتبعها المستشرقون، والاطلاع على قواعدهم واقتباسها، او اقتباس الجيد منها، ولكن الذين فعلوا ذلك قلة... وقد خالفهم البعض ولم يطلع على ما قدمه هؤلاء المستشرقين او ارادوا ان يضعوا منهج وقواعد خاصة بهم ونذكر من بينهم هارون عبد السلام ومحمد محمود شاكر وغيرهما.

والآن وقد ظهرت في البلاد العربية نهضة علمية قوية، ومال كثيرون الى نشر النصوص القديمة، واختلفت الطرق التي يتبعها الناشرون كما ذكرنا ، كان لابد من وضع قواعد علمية دقيقة ينتهجها المحققون وتتوحد بها الطرق في التحقيق والنشر.

حيث كان "أول من وضع نهجا من المؤسسات العلمية لتحقيق نص قديم هو المجمع العلمي العربي بدمشق. فعندما أراد نشر " تاريخ مدينة دمشق " - وهو اوسع تاريخ كتب عن المدينة، يقع في ثمانين مجلدة- جمع لجنة من العلماء لوضع قواعد عامة تتبع في تحقيق مجلدات التاريخ".

msadiahdoraz4k@gmail.com

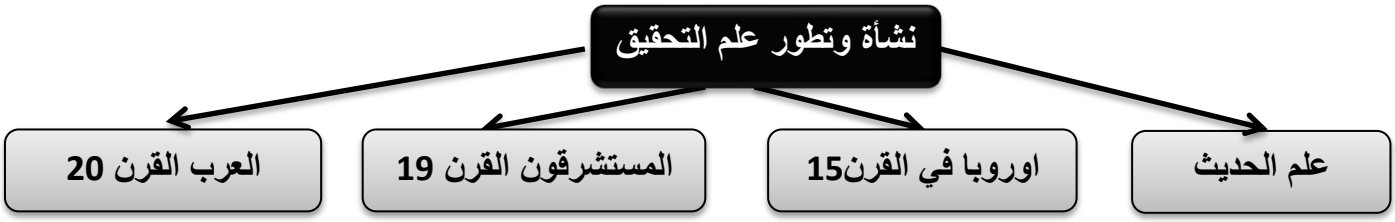

شكل رقم (1) يوضح التطور التاريخي لعلم تحقيق

ملاحظة:

للاطلاع أكثر وتوسيع المعارف حول هذا الموضوع يرجى مطالعة بعض الكتب مثل:

- أحمد شوقي بينين؛ مصطفي طوبي. **معجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي**. ط. 3. الرباط: الخزانة الحسنية، 2005.

- رمضان عبد التواب. **مناهج تحقيق التراث: بين القدامى والمحدثين**. القاهرة : مكتبة خانجي.1986.

- عبد الله عبد الرحيم عسيلان. **تحقيق المخطوطات: بين الواقع والنهج الامثل**. الرياض: مطبوعات ملك فهد الوطنية. 1994.

- محمد عبد السلام هارون. **تحقيق النصوص ونشرها**. ط. 5. القاهرة :مكتبة السُنة،1410 هـ.

- عباس هاني الجراح. **مناهج تحقيق المخطوطات: توثيق ودراسة**. القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية.2010.

- الصادق عبد الرحمن الغرياني . **تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث**. ليبيا: مجمع الفاتح للجامعات، 1989.

- صلاح الدين المنجد. **قواعد تحقيق المخطوطات**.ط.7. بيروت: دار الكتاب الجديد.1987.

msadiaabdoriazak@gmail.com